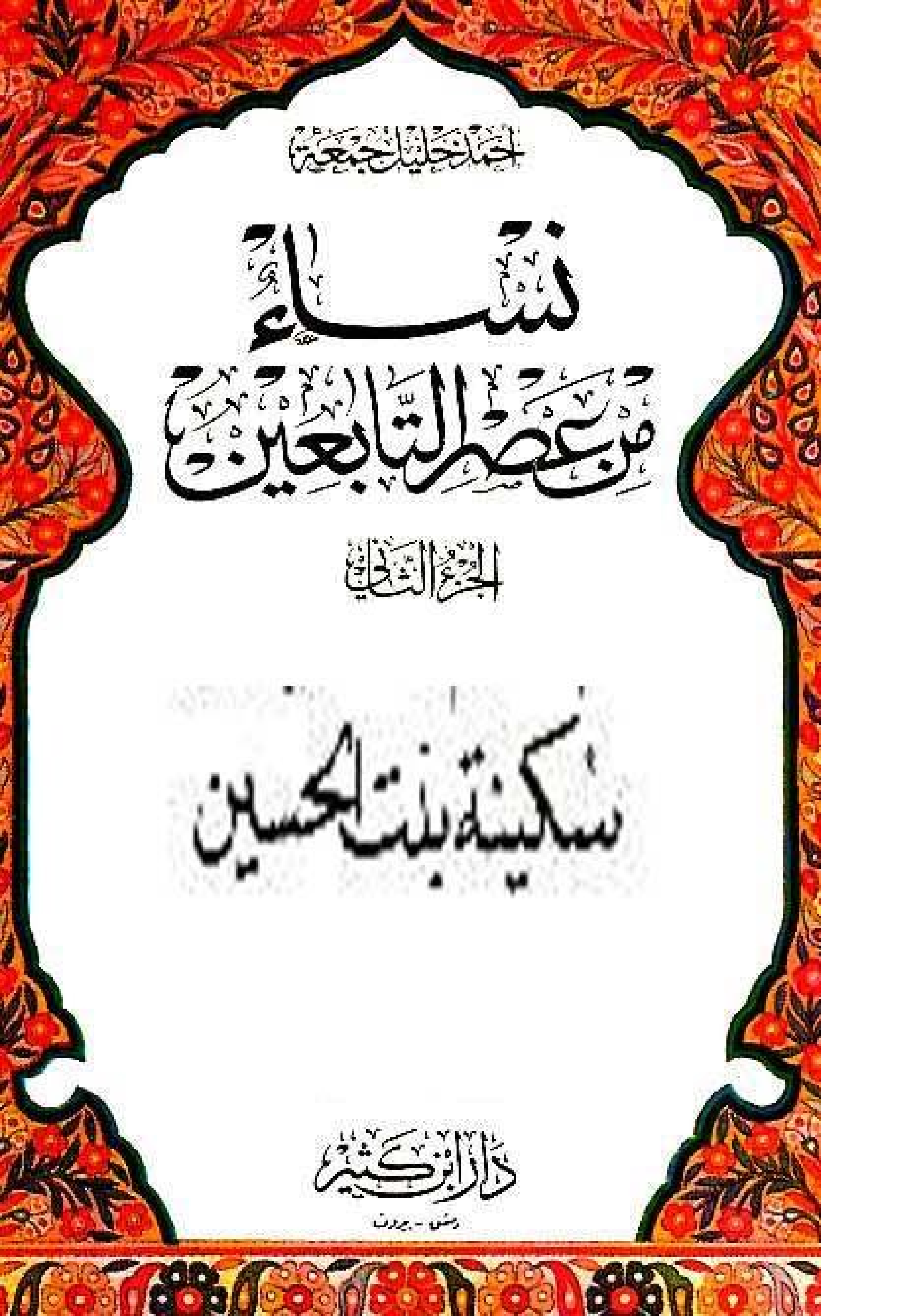

أحمد خليل جمعة
نساء
من عصر التابعين
الجزء الثاني
سكينة بنت الحسين
دار ابن كثير
دمشق - بيروت

(٢)

سُكينة بنت الحسين

* قال الإمام النووي :

كانت سُكينة من سيدات النساء ، وأهل الجود والفضل .

* شاعرة ، فصيحة ، راوية للحديث النبوي الشريف ، ناقدة للشعر .

سُكَيْنَةُ بنْتُ الحُسَيْنِ

السَّيِّدَةُ الهَاشِمِيَّةُ :

* في رحاب البيت النَّبويّ نشأت آمنةُ بنت الحسين بن عليّ بن أبي طالب[1] ، ولما كانت في مراحل طفولتها ، بدت ذات ملامح حلوة ، ونظرات ذكية ، عندئذ لقّبتها أمّها باسم سُكينة ، وغلب عليها هذا اللقب ، وغدت لا تُعرف إلا به .

* وكانت أمُّ سكينة ، واسمها الرّباب بنت امرىء القيس الكلبيّة[2] ، من خيار النّساء وأفضلهن ، وقد ولدت للحُسين بن علي عبد الله ـ وبه يكنى ـ وسُكينة التي نتحدث عنها في هذه الصّفحات .

* وكان سيّدنا الحسين ـ رضي الله عنه ـ يأنسُ إلى طفلته سُكينة ، التي كانت مَبْعث الأنس له ، ومنبع الحنان ، وكان كذلك يسكن إلى أمّها الرّباب التي كانت تُعيْرهُ كلَّ رعاية واهتمام . ويبدو أنَّ الحسينَ عُوتب من أقاربه في اهتمامه المفرط بسكينة والرُّباب ، فقد روى أهل الأخبار عن سكينة أنّها قالت :

---

(١) نسب قريش (ص ٥٩) ، والمعارف (ص ٢١٣) ، ووفيات الأعيان (٣٩٤/٢) .

(٢) اقرأ في هذا الكتاب سيرة الرباب بنت امرىء القيس ، ففي سيرتها بعض الأخبار الهامة لحياة المرأة في عصر التابعين .

عاتَبَ عمّي الحسن بن عليّ أبي في أمّي ، فقال :

لعـــمـــرك إنَّـــني لأحبُّ داراً
تكـون بهـا سُـكـينـة والرَّبـابُ
أحبُّـهـمـا وأبـذلُ جُـلَّ مـالي
وليس للائمي فيهـا عتـابُ
ولستُ لهـم وإنْ عَتبـوا مطيعـاً
حيـاتي أو يغـيّبـني التُّـرابُ[1]

* ولمـا شبت سُكينـة ، أضحتْ في المجتمع القرشيّ من سيّدات النّساء ، وحظيت بالشّهرة العالية التي لم تلحقْ بها امرأة في عصرها ؛ لِمَا اشتهرت به من حُسْنٍ وأدب وعلْم ، فملأتِ الدّنيا وشغلتِ النّاس .

وفوق هذا وذاك ، كانت من التّابعيات اللواتي حفظن حديثَ رسول الله ﷺ وروينه ، وكيف لا ؟ وهي حفيدة الزّهراء وسليلة بيت النّبوّة الطّاهر الكريم ؟ ! .

* والقَدْرُ الذي وعاه لنا تاريخها في الرّواية أنّها حدّثت عن أبيها الحسين بن علي[2] ـ رضوان الله عليهما ـ .

* أمّا من روى عنها الحديث فهو فائد المدني[3] مولى عبيد الله بن أبي رافع ، كما روى عنها أهل الكوفة .

---

(1) نسب قريش (ص ٥٩) ، ومقاتل الطالبيين (ص ٩٤) ، والبداية والنهاية (٢١١/٨) وشذرات الذهب (٨٢/٢) ، ونور الأبصار (ص ١٩٢) .

(2) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٦٢/٥) .

(3) فائد مولى عبيد الله بن علي بن أبي رافع المدني مولى النبيّ ﷺ ، روى عن سُكينة =

* فمن مروياتها ما أخرجه ابن عساكر بسنده عن فائد مولى عبيد الله بن رافع قال :

حدثتني سُكينة بنت الحسين بن عليّ ، عن أبيها قال : قال رسول الله ﷺ :

« حَمَلَةُ القرآن عرفاء أهلِ الجنّةِ »[1] .

* * *

مَهْرُ سُكَيْنَة :

* إذا كان الشَّباب والجمال من الصِّفات المرغوبةِ في الرّجلِ والمرأة ، فإنّهما لا يغنيان عن صفاتٍ أخرى مطلوبة في كلّ واحد منهما .

* فقد كانت سكينة امرأة صالحة ، ذات خلق قويم كريم ، يزينُها أدبٌ وحياءٌ وعلم ، ويحلّيها ذكاءٌ وفهم وحسن .

قال عنها الإمام الذّهبيّ : كانت شهمة مهيبة[2] .

= بنت الحسين ، وعن مولاه عبيد الله ، وإبراهيم بن عبد الرحمن ، وغيرهم . وروى عنه كبار العلماء والتابعين . وفائد المدني تابعيٌ ثقةٌ صدوقٌ ، وقد وثّقه يحيى بن معين ، وذكره ابن حبّان في الثّقات .
(تهذيب التهذيب : ٢٥٦/٨ و ٢٥٧) و (تقريب التهذيب : ١٠٧/٢) .

(١) تاريخ دمشق (ص ١٥٥) .

(٢) إن اختيار الرّجلِ مثل هذا المرأة النّبيلة من أجلِ إحسان الأدب للأولاد الذين تنجبهم ، وبها يمنُّ عليهم ، وفي هذا يقول أبٌ لأولاده :

وأولُ إحساني إليكم تخيّري ‏ ‏ ‏ لماجدة الأعراقِ بادٍ عَفافُها

كما أنّها جمعتِ المجدَ من جميع جوانبه ، ويكفيها فخراً أنَّ والدها الحسين سِبْط النَّبيّ ﷺ وريحانته ، وسيّد شباب أهل الجنّةِ في الجنّةِ .

* وخطبها مصعبُ بن الزُّبير بن العوّام ؛ الذي وصفه ابن كثير بقوله : كان منْ أحسنِ النّاس وجهاً ، وأشجعهم قلباً ، وأسخاهم كفاً .

* وكانت لمصعب أمنية قديمة جداً في سُكينة ، إذ تمنى أن يكون والياً على العراق ، وأنْ يتزوّج من عائشة بنت طلحة[1] ـ فكان ذلك ـ وأن يتزوج سكينة ابنة الحسين ، فقد آنَ الأوان ، فها هو والٍ لأخيه على البصرة ، ويرشحه ـ لمصاهرة آل الحسين ـ كَرَمُ أصْله ، فهو ابن الزّبير[2] فارس النّبيّ ﷺ وحواريّه وابن عمته ، وأُحد العشرة المبشّرين بالجنّة ، أضفْ إلى ذلك اكتمال مروءته وشهامته التي عُرِفَ بها مصعب

(١) اقرأ بتوسع سيرة عائشة بنت طلحة في هذا الكتاب .

(٢) من الفوائد الهامة هنا ما رواه هشام بن عروة عن أبيه قال :
قال الزّبير بن العوّام ـ رضي الله عنه ـ : إنَّ طلحة بن عبيد الله يُسمّي بنيه بأسماء الأنبياء ، وإنّي أسمي بنيّ بأسماء الشّهداء ؛ لعلهم يُستشهدون :
ـ عبد الله : بعبد الله بن جحش .
ـ والمنذر : بالمنذر بن عمرو .
ـ وعروة : بعروة بن مسعود .
ـ وحمزة : بحمزة بن عبد المطلب .
ـ وجعفر : بجعفر بن أبي طالب .
ـ ومصعب : بمصعب بن عمير .
ـ وعبيدة : بعبيدة بن الحارث .
ـ وخالد : بخالد بن سعيد .
ـ وعمرو : بعمرو بن سعيد بن العاص قُتل باليرموك . رضي الله عنهم جميعاً .

بين أقرانه ، وشجاعته التي يتحدث عنها أهل العراق وأهل الحجاز ، ومَنْ بالعواصم .

* وتَمّت خطبة مصعب لِسُكينة ، وأمهرها مليون درهم ، كما أمهر ضرّتها عائشة بنت طلحة مليون درهم أيضاً ، ولعلّ هذا المهر العالي ظلّ حديث النّاس يومذاك ، وكان أثره واضحاً في الحجاز والعراق ، حتى إنّ أنس بنَ زُنَيْم الدِّئلي(١) نَفَثَ ما بصدره لأخي مصعب عبد الله بن الزُّبير في هذا المهر العالي فقال :

أبـلغْ أمـيرَ المـؤمنـين رسـالة
مِنْ نـاصـحٍ لك لا يـريـد خداعا
مَهْـرُ الفتـاة بـألف ألفٍ كامـل
وتبيتُ سـادات الجيـوش جيـاعا
لوْ لأبي حفـصٍ أقـولُ مقـالتي
وأقصُّ شـأنَ حـديثهـم لارتـاعا(٢)

* ووافق عبدُ الله بن الزبير أنس بن زنيم على شعره وقال : صدق والله أنس ، لو قيلتْ هذه المقالة لأبي حفص ـ كنية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ لارتاع من تزويج امرأةٍ على ألف ألف ؛ غير أنّ مصعباً لم يكتفِ بهذا ، بل تقول الرّوايات : إنّه أعطى أخاها عليّ بنَ الحسين

(١) هو أنس بن زنيم بن عمرو الكناني : شاعر ، من الصحابة . نشأ في الجاهلية . ولما ظهر الإسلام هجا النبي ﷺ فأهدر دمه ، فأسلم يوم الفتح ومدح رسول الله بقصيدة فعفا عنه . عاش إلى أيام أمير العراق عبيد الله بن زياد . توفي نحو سنة (٦٠ هـ) .

(٢) المعارف لابن قتيبة (ص ٢٢٣) .

أربعين ألف دينار لما حملها إليه ، وولدت له ابنة أسمتها الرَّباب .

* وفي حياتها مع مصعب سطع نجمها أكثر في عالم النّساء ، وحظيت بالشّهرة الواسعة في الأمصار ، ومع أنَّ سكينة تعدُّ إحدى نوادر الجمال في عصرها ، كانت تزيد إلى جمالها حُسْنَ التَّرتيب والعناية بشَعْرِها وتصفيفه ، فقد كانت من أحسن النّاس شَعْراً ، وكانت تصفّفُ جمّتها تصفيفاً لم يُرَ أحسن منه ، حتى عُرِفَ ذلك ، وكانت تلك الجمّة تسمى « السُّكينيّة » ، وكان عمر بن عبد العزيز إذا وجد رجلاً يصفّق جمته « السّكينية » جلده وحَلَقَه .

قال ابن خلكان في « وفيات الأعيان » : والطُّرة السُّكينية منسوبةٌ إليها .

* * *

فِرَاقُ الحَبِيْبِ :

* كانتْ لمصعب مكانةٌ عظيمة عند سُكينة ، وكانت تخفي ما في قلبها من مصعب ، ففي حَرْبِهِ مع عبد الملك دَخَلَ إليها ، وقد نزع عنه ثيابه ، ولبس غِلالة[1] ، وتوشّح بثوب ، وأخذ سيفه ، فعلمتْ أنّه لا يريد أنْ يرجعَ ، فصاحت من خلفه : واحزناه عليك يا مصعب ، فالتفتَ إليها وقال : أوكل هذا لي في قلبك ؟ .

فقالت : أي والله ، وما كنتُ أخفي أكثر .

---

(١) « غِلالة » : ثوب رقيق يُلبس تحت الدّثار .

فقال : لو كنتُ أعلم أنَّ هذا كلّه لي عندك لكانت لي ولك حال .

ثم خرج ولم يرجع ، وقُتل بيدِ جنود عبد الملك بن مروان .

* وذكر ابن كثير نقلاً عن الخطيب البغداديّ أنَّ سُكينة كانت مع مصعب في الوقعةِ التي قُتل فيها ، فلما قُتل طلبته في القتلى حتى عرفته بشامةٍ في خدِّهِ ، فقالت : نِعْمَ بَعْل المرأة المسلمة كنتَ ، أدركك والله ما قال عنترة :

وخـليـل غـانيـة تـركتُ مجـدلاً
بـالقـاع لم يعـهـدْ ولم يتثـلّمِ
فهتكتُ بـالرُّمحِ الطّـويـلِ إهـابَه
ليس الكـريم على القنـا بمحـرم[1]

* * *

رِثَاؤُها وفَصَاحَتُها :

* ورثتْ سكينة قول الشِّعر عن أبيها الحُسين ـ رضي الله عنه ـ ، فقد كان يقول الشِّعر الجيّد ، كما كانت أُمُّها الرَّباب بنت امرىء القيس من فصيحات النسـاء ، وشـاعرات العرب ، ممن حلَّقْنَ عالياً في فنِّ الرِّثاء ، رثتْ زوجها الحُسين حين قُتل بكربلاء بقولها :

إنَّ الذي كان نوراً يُستضـاء بـه
بكـربـلاءَ قتيـلٌ غيرُ مدفونِ

(١) البداية والنهاية (٨/٣٢٥) و « الإهاب » : الجلد ، والمعنى : الجسم .

سِبْـطَ النَّبـيِّ جزاكَ اللهُ صـالحـةً
عنَّـا وجُنبتَ خسـران المـوازين
قـد كنتَ لي جبـلاً ألوذُ بـه
وكنتَ تصحبنـا بـالرّحـم والدِّين

* وكانت سُكينة ـ رحمها الله ـ لا تقلُّ جودة في الرّثاء عن أمها ، فقد رثت زوجها مصعباً أحَرَّ رثاء ، فقالت :

فـإنْ تقتـلوه تقتـلوا المـاجدَ الذي
يرى المـوت إلا بـالسُّيوف حراما
وقبـلك ما خـاضَ الحُسين منيّـة
إلى القـوم حتى أوردوه حِمـاما(١)

* ولكنْ سكينة ، قُتل أبوها من قَبْلُ شهيداً ، فهل تركتْ هذه الحادثة تمضي دون أنْ تقول شعراً ؟ وسكينة ـ كما علمنا ـ إحدى فصيحات قريش وبني هاشم ، وهي ممن ذُللت لها قطوف البيان تذليلاً ؟ ! .

* لا شك أنّها أرسلتْ دمعها مدراراً على أبيها ، وقد احتفظ « الزّجّاج » في أماليه ببضعة أبيات لها ، قيل إنّها رثت بها أباها ـ رضوان الله عليه ـ ، نقتطف منها قولها :

لا تعـذُليـه فهـمٌ قـاطعٌ طرفَـهْ
فعينُـه بدموعٍ ذُرِّفٍ غَدِقَـهْ

(١) شاعرات العرب (ص ١٦٤) .

إنَّ الحسينَ غداةَ الطَّفِّ يرشقه
ريب المنون فما أنْ يُخطِىء الحدَقهْ
يا عينُ فاحتفِلي طولَ الحياة دمًا
لا تبكِ ولداً ولا أهلاً ولا رفقهْ
لكنْ على ابنِ رسول الله فانسكبي
دمًا وقيحاً وفي أثرَيْهما العَلَقهْ

* ولعل لسكينة أثراً شعرياً آخر في مواقف أخرى ، وفي مختلف الأغراض ، إلا أنَّ كتبَ المصادر لم تحفظْ بها ، بل اهتمت بتاريخها الأدبي ومكانتها في عالَم النَّقد ، وفي السَّيطرة الأدبية ، وما رزقته من ذوق في الشّعر ، وإدراكٍ لمواطن تأثير الكلام .

* أمّا عن فصاحتها وخطابتها ، فقد جاء في « عيون الأخبار » لابن قتيبة ، وفي « العقد الفريد » لابن عبد ربّه ما يدلُّ على بلاغتها وحضور ذهنها ، ووضع الكلام في مواضعه بالوقت المناسب ، فعندما قُتل زوجها مصعب ، خرجت تريد المدينة المنورة ، فأطاف بها أهل الكوفة فقالوا : أحسن الله صحابتك يا بنت رسول الله .

فقالت : واللهِ لقد قتلتم جدّي ـ تقصد علياً رضي الله عنه ـ وأبي وعمّي ، وزوجي مصعباً . أيتمتموني صغيرةً ، وأرملتموني كبيرةً ، فلا عافاكم الله منْ أهل بَلَدٍ ، ولا أحسن عليكم الخلافة . ثم خرجت ويمّمت وجهها تلقاءَ المدينة المنوّرة .

* * *

سُكَيْنَةُ وعَبْدُ المَلِكِ :

* بعد مقتل زوجها مصعب بن الزُّبير خطبها عبد الملك بن مروان فقالت : والله لا يتزوّجني بعده قاتله أبداً .

* ثم تزوّجت عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام الأسديّ ، فولدت له حكيماً وعثمانَ وربيحة ، وكانت رملة بنت الزّبير أمّ عبد الله بن عثمان وأختُ مصعب سبباً لزواجها من ابنها عبد الله .

* ثم خلفَ عليها بعد موت عبد الله ، زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فشرطتْ عليه أن لا يمنعها شيئاً تريده ولا يخالفها في أمر تحبُّه ، فوافق على شروطها . ولما مات لم تتزوج بعده أحداً ، وبقيت في المدينة المنورة .

* * *

سَيِّدَةُ النَّاقِدِيْنَ :

* تكاد كتبُ المصادر ـ وخصوصاً كتب الأدب[1] منها ـ تغصُّ بالأخبار الكثيرة التي تشيرُ إلى مكانة سكينة في النّقد الأدبي ، وقد أفاضت هذه الكتب في ذلك ، وشرّقتْ وغرّبتْ وأتت بالغرائب أحياناً ، وزعموا بأنّها كانت سيّدة النّاقدين عصر ذاك ـ بلا منازع ـ فهي حَكَمُ الشّعراء الذي لا يردُّ حكمه ، ولا ينقضُ قوله ، فكانوا يفدُون على دارها

(١) انظر على سبيل المثال : عيون الأخبار (٤/ ٩٠) ، ومصارع العشاق (٢/ ٨٠ ـ ٨٤) ، والعقد الفريد (٥/ ٣٧٣) و (٦/ ٣٠ و ٤٨) ، والأغاني في مواضع متفرقة ، والمحاسن والمساوىء في مواضع أيضاً ، ودواوين الشعراء في عصرها .

مِنْ كلِّ حدبٍ وصوب ، وبعضهم يأتيها من مكان بعيد ، وكلُّهم عقد يده على خيرِ ما قال ، وليس بينهم إلا مَنْ كان حديثه طول طريقه عما عسى سكينة أنْ تقوله وتحكم به ، لأنّه سيكون بين أقرانه الفائز بالسَّبْق في حلبة الشِّعر .

* وروت كتُب الأدبِ والمصادر أيضاً بأنّه اجتمع إليها ذات مرة : جرير ، والفرزدق ، وكثيّر ، وجميل ، ونصيب ، فنقدت لكلّ شعره ، وأخذت عليه مآخذه[1] ، ثم أثابت كلّ واحد منهم بألف دينار ، فخرجوا بخمسة آلاف دينار ، وما كان الخليفة ـ يومذاك ـ ليعطيهم بما دون ذلك حتى يجمعوا فيه من الفضائل والكرامات ما تفرّق في الأبرار ، وما تفرّدَ في المقربين ، والكرام الكاتبين ، وما كان عند القادة الفاتحين ، والعلماء الزّاهدين ! .

* ولكنْ من الإنصاف أنْ نقولَ :

إنَّ سكينةَ ـ رحمها الله ـ كانت بصيرة بأعطاف الشِّعر ، وقطاف الأدب ، ولُباب الفصاحة ، وكانت تمتلك ذوقاً في نقد الشِّعر ، وميزاناً عادلاً في وضع الكلام في مواضعه ، ولولا أنّها كانت من نوادر عصرها بصراً بالشِّعر ، وفقهاً للعربية وبيانها ، لما اعترف لها التّاريخ الأدبيّ بمثلِ تلك المكانة ، ولما ألقيت إليها مقاليد النّقد الأدبي ، والتّحكيم والموازنة بين الشّعراء ، ولكنْ بحدود ، ودون أنْ تتخلّى عن اعتزازها بشرفها العالي ، أو يزايلها وعيها لموضعها من بيت النّبوّة ، أضفْ إلى ذلك أنّها ابنة الحُسين ـ رضي الله عنه ـ ، والويل كلّ الويل لمن يخرج عن جادة

(١) انظر مثلاً هذا الخبر في تاريخ دمشق (ص ١٦٤ ـ ١٦٩) .

الصــواب مع هذه السيدة الكريمة ؛ وخير ما يؤيد قولنـا ، ما ورد أنَّ الفرزدق الشَّــاعر المعروف ، ذكر سكينـة وشبب بها ، وعمر بن عبد العزيز والٍ على المدينة ، فأخرجه منها ونفاه ، فقال جرير في ذلك :

نفـــاكَ الأغـرُّ ابن عبـــد العـــزيـز
بحقّـــكَ تنـــفـــى منَ المسجـــد

* * *

أدَبُها وظَرْفُها وكَرَمُها :

* عُرفت سكينـة ــ رحمهـا الله ــ بأنّهـا من أطيـب النّسـاء نفسـاً وأحلاهن روحاً ، فقد كانت تميلُ إلى الفكاهة وحبِّ النكتةِ ، وكانت ظريفة تحبّ الدّعابة والظّرافة التي تضفي على جوّها روح الخفّةِ والأُنس .

* قيل لها مرة : يا سُكينة ، أختك ناسكة وأنت مزّاحة ؟ .

قالت : إنّكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة ، وسميتموني باسم جدتي التي لم تدركِ الإسلام(١) .

* ومن طريف ما روي عنها ، أنه لسعتها يوماً دَبرة ــ نحلة ــ فقالت لها أمّها : ما لكِ ؟ .

* فقالت : مرّتْ بي دُبيرة ، فلسعتني بأُبيرة ، فأوجعتني قُطيرة .

(١) تقصدُ أختها فاطمة بنت الحسين بن علي ، سميت باسمها جدتها فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ ، وزوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه . واسم سكينة ــ كما أسلفنا ــ هو آمنة ، وسكينة لقب لها ، وسميت آمنة باسم جدتها آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ .

* وكانت سكينة مع مرحها كريمة ذات اليد ، تهين المال ، فكانت تعطي وتكرم من يأتيها ، وقد رؤيتْ مرة في الحجّ ترمي الجمار ، فسقطتْ من يدها الحصاة السّابعة ، فرمتْ بخاتمها الثّمين بدلاً من الحصاة ! .

* ومن أخبار جودها وكرمها ، أنّ أشعبَ الطّماع المشهور حجّ مرة ، فأمرتْ له بجملٍ قويٍّ يحمل أثقاله ، فأعطاه القيِّم على أموالها جملاً ضعيفاً ، فمضى أشعب ، وشكاه إلى سكينة فأرضته ، وأعطته ما جعله يلهج لها بالدّعاء .

* * *

أخْلاقُهَا وَفَخْرُهَا :

* إنّ الجوانب الجدِّية في حياةِ سُكينة ، تدلُّ على شرفِ أخلاقها ، وعلى مكارمها وخصالها الحميدة ، ويبدو أنّها كانت تعتزُّ كثيراً بنسبها العالي وشرفها الرّفيع ، وتستطيع بما أوتيت من فصاحة وبلاغة وبيان أنْ تؤكّد ذلك ، ومن الأخبار التي تشيرُ إلى هذا ، أنّ سكينة كانت في مأتمٍ ، فقالت ابنةٌ لسيّدنا عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ : أنا ابنةُ الشّهيد .

فسكتت سكينة ، ولم تعلّق على قولها ، وبعد قليل ، نادى المنادي للصّلاة من المسجد النّبويّ الشّريف ، ولما بلغ المؤذن إلى قوله : أشهد أنّ محمّداً رسولُ الله ، عندئذ التفتتْ سُكينة إلى ابنةِ عثمان وقالت : هذا أبي أو أبوك ؟ .

فقالت : لا أفخر عليكم أبداً[1] .

---

(١) عن أعلام النساء (٢٢٣/٢) بتصرف يسير جداً .

* ويبدو منَ الأخبار التي وصلتنا عن سُكينة أنَّ الفَخْر كان من أخلاقها ، لا تستطيع أنْ تتخلى عنه في لحظةٍ من اللحظات ؛ إذ كانت تقابلُ مَنْ تفاخره بذكرِ رسول الله ﷺ ، وتقيم عليها الحجة دون أن تقلّلَ من مكانته .

* روي أنّها حجّتْ مرّةً مع ضرّتها عائشة بنت طلحة ، وكان مع عائشة ستون بغلاً عليها الهوادج والرّحائل ، فقال حادي عائشة مفتخراً :

عائشَ يا ذات البِغال السّتين

لا زلتِ ما عشتِ كذا تحجين

* فما كان من سُكينة ـ رحمها الله ـ إلا أنْ أمرت حاديها أنْ يردَّ على هذا فقال :

عائشُ هذه ضرّةٌ تشكوكِ

لولا أبوها ما اهتدى أبوكِ

عندئذ أمرتْ عائشة بنت طلحة حاديها أنْ يكفَّ عما يقول ، فكفَّ ، وكفَّتْ عائشة أدباً وإذعاناً لسيّدنا رسول الله ﷺ ، وإحقاقاً للحقّ والصّدقِ .

* * *

الأيَّامُ الأخِيْرَةُ :

* قضتْ سُكينة ـ رحمها الله ـ أكثر منْ نصف قرن ، وهي تتربعُ

على قمّةِ الشُّهرة ، وامتدَّ بها العمر حتى أطلّتْ على الثّمانين ، وفي مدينة رسول الله ﷺ وافاها الأجل ، ويحدّدُ ابنُ خلكـان تاريخ وفاتها بدقةٍ فيقول :

كانت وفاةُ سُكينـة بالمدينة يوم الخميس ، لخمسٍ خَلَوْن من شهر ربيع الأول سنة (١١٧ هـ) ـ رضي الله عنها ـ[١] .

* توفيتْ سُكينة وعلى المدينة خالد بن عبد الملك بن الحكم فقال : انتظروني حتى أصلي عليها ، وخرج إلى البقيع فلم يدخلْ حتى الظّهر ، وخشـوا أنْ تتغيرَ ، فاشـتروا لها كافوراً بثلاثين دينار ، فلمّا دخل أمَرَ شيبة بن نصّاح فصلّى عليها . قُدِّمَ لفضله[٢] .

* رحـم الله سُـكينـة ، وأسكنهـا الفردوس ، وما أجمل قول الإمام النّووي عنها : كانت سُكينة من سيّدات النّساء ، وأهل الجود والفضل ، رضي الله عنها وعن آبائها[٣] .

* * *

(١) وفيات الأعيان (٣٩٦/٢ و ٣٩٧) ، والكامل لابن الأثير (١٩٥/٥) .
(٢) الطبقات (٤٧٥/٨) ، والسمط الثمين (ص ١٩٧) .
(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١٦٣/١) .